المهام السرية لمفتدي الأسرى المسيحيين بالجزائر خلال العهد العثماني

- **دباب بومدين**
- **جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم** - Boumediene.debbab@univ-mosta.dz

الملخص : لقد أثارت قضية الأسرى المسيحيون بالجزائر خلال العهد العثماني الرأي العام الأوروبي، مما دفع إلى تأليف ونشر العديد من الدراسات والمقالات، وقد لعبت هيئات الإفتداء دورا بارزا في إقناع شعوبها بضرورة تأجيج الروح الصليبية والإتجاه لضرب الجزائر؛ مقدمة خدمات لبلدانها في إطار الحرب السرية التي سبقت التدخلات العسكرية، في حين سكتت المصادر العربية عن هذا الموضوع بل حتى التحدث عن حالة الأسرى المسلمين بالبلاد الأوروبية.

الكلمات المفتاحية: الأسرى –المسيحيون- الجزائر- العهد العثماني.

Secret missions for the redemption of Christian captives in Algeria during the Ottoman period.

Astract— The Christian captives in Algeria in the Ottoman era raised European public opinion, which prompted many studies and articles to be written and published, the more organs of redemption played a role in convincing their people and fueling the " Spirit of striking Algeria", and presented their country's services in the context of the secret war that preceded the military interventions, while Arab sources were silent on the subject and even speak of the case of Muslim prisoners of European countries.

Key-words: Ottoman era-Algeria-captives.

مقدمة:

لقد ظلت عملية إفتداء الأسرى المسيحيين بالجزائر خلال العهد العثماني؛ ولمدة طويلة موردا للرزق ومصدرا للثروة وعاملا حاسما في تنشيط اقتصاد إيالة الجزائر، فقد كانت عملية مربحة في نظر كثير من المؤرخين المحدثين الدين أطلقوا عليها تسمية "التجارة الآدمية"؛ وبقدر ماكانت نعمة على العثمانيين كان لمفتدي الأسرى المسيحيين عدة مهام خفية يراد تحقيقها من وراء عمليات الافتداء، ترى ما هي؟...

1- إجراءات إفتداء الأسرى المسيحيين بالجزائر خلال العهد العثماني:

لقد كانت غنائم البحر من الأسرى المسيحيين تخضع في بداية الأمر للبيع عن طريق المزاد في الأسواق المحلية التي عرفت بـ" البادستانات" والثاني عند افتدائهم علي يد رجال الدين، أو عن طريق اليهود الذين تخصصوا في عمليات إفتداء الأسرى لإعادة بيعهم في أسواق مدينة ليفورنه وأهم التجار اليهود الذين ساهموا في شراء الأسرى المسيحيون؛ مولكو، آرون إزرائيل دي تونس، دفيد كووين صالون، بوشعرة، أزاك سليمان[1].

لقد اعتبرت عملية افتداء الأسرى المسيحيون بالجزائر خلال العهد العثماني صفقة تجارية ؛ تتطلب مجموعة من الإجراءات بداية بدفع مجموعة من الحقوق والرسوم فعلى كل 10 بوجو يدفع لخزينة الدولة 01 بوجو أي 10 % وعلى وصل الافتداء 12 ريال ونصف هذه القيمة موجه للخزينة[2]،أما عن عمليات الافتداء فكانت مضبوطة طريقتها فمع الوصول إلى الجزائر يقدم المبعوث نفسه إلى سلطات الميناء مصرحا بالمبلغ المالي الذي يحمله معه[3] ، وهناك مستحقات أخري يجب يدفعها فللداي عن كل اسير 02 ريال من الحجم الكبير وللكاتبين وخوجة الدفتر 01 ريال ولقائد الميناء وكتابة البحرية نصف ريال ، ويدفع للمترجمين الانجليز والفرنسيين 01 ريال ولمترجم الباشا ثمن ريال [4] ، وبعد الاتفاق تدفع رسوما أخرى تعرف بحق الباب على حد تعبير لوجي دوتاسي والتي لخصها في الجمارك (القمرق)، حق قفطان الباشا، الكتاب الكبار، قبطان الميناء [5].

الى جانب هذه الشروط الإجرائية كان لابد من الحصول على وثيقة الجواز للآباء المقترحين لعمليات الافتداء وللسفينة التي تحملهم، هذا الترخيص منحه داي الجزائر محمد باشا(1748-1754) للبعثة الدينية الاسبانية المنتسبة لمجموعة الثالوث المقدس التي افتدت عددا من الأسرى الإسبان المحتجزين في الجزائر سنة 1749 [6].

وعموما فقد صنف الأسرى المسيحيون في الجزائر خلال العهد العثماني إلى ثلاثة مجموعات؛ فالمجموعة الأولى احتفظ بها الداي للعمل في القصر وسميوا بأسرى الداي اما الثانية فهي تابعة للدولة وأطلق عليهم أسرى البايلك والثالثة تابعة للخواص[7].

وليس كل الأسرى المسيحيين بإمكانهم الاستفادة من عمليات الافتداء؛ فكل من يكون مفيدا في أحواض بناء السفن أو مصاهر المدافع لا يفرط فيه،وتعطى الأولوية للمرأة الشابة والأطفال قبل كبر سنهم خوفا من تغيير ديانتهم [8].

وحين يدفع مبلغ الفدية يسلم الأسير إلى المبعوث ويعطى له معطفا ابيض اللون كرمز عن تحريره، وحينئذ يقود رجال الدين كل الأسرى المفتدين إلى البلدية حيث تصدر لهم شهادة الحرية؛ ويأخذ المبعوث من الداي إذنا رسميا بالمغادرة ويقود أسراه إلى الميناء للصعود إلى السفينة وتستخلص منه 10 % كقيمة إضافية على مبلغ الافتداء قبل أن يسمح له بالمغادرة، ولم يكن مرخصا لإقلاع السفينة دون الحصول على الرخصة المسماة التذكرة quittance مختومة من الداي؛ فهي ضرورية لعملية التصدير نحو الخارج.

2- المهام السرية لمفتدي الأسرى المسيحيين بالجزائر:

بالإضافة إلى الرعاية الصحية والروحية التي كانت ترافق عمليات افتداء الأسرى المسيحيين من طرف قساوسة الفداء والتنظيمات الدينية المسيحية والوكلاء اليهود، إلا أن ذلك لم يخلو من القيام بعدة مهام خفية تتمثل فيما يلي:

أولا. الدعاية:

لقد أسالت قضية الأسرى المسيحيين بالجزائر خلال العهد العثماني الكثير من الحبر في العالم الأوروبي حيث كانت الموضوع الرئيسي والسهل لأغلب الأعمال الأدبية الأوروبية ؛ وعرفت آنذاك بأدبيات الأسر والفداء [9]، وذلك من خلال النشاط الدعائي الذي كان يقوم به قساوسة الفداء حيث يستخلص من كتاباتهم وتقاريرهم آليات الدعم الدعائي والعدائي ضد الجزائر عبر مجالات مختلفة كتصوير وتسويق صورة سوداء عن حياة ومعاناة الأسرى وكذا الطعن في الرموز المقدسة والثابتة للمجتمع الجزائري؛ والتركيز على أسباب اعتناق الأسرى المسيحيين للإسلام.

فالبنسبة لمعاناة الأسرى المسيحيين في الجزائر؛ تتفق معظم كتابات مفتديهم والرحالة والقساوسة على أنهم كانوا يعاملون كالحيوانات ويتعرضون لمختلف الذل والهوان؛ يقيمون في السجون مكبلين بالسلاسل الحديدية، وقد لخص القس هايدو هذه الحالة قائلا:"....يعيش الأسرى في الجزائر"البربرية" حياة بائسة....إننا هنا لانجني إلا الأشواك التي تؤلمنا وتدمينا....نحن رعايا بائسين لانحيى حياة وإنما بلاء...."[10].

وفي ظل غياب المصادر المحلية التي تطرقت للموضوع لايمكننا أن نسلم بصدق الادعاءات الأوروبية بل يجب وضعها تحت المجهر ومقارنتها بكتابات معاصرة لها تضمنتها ملاحظات الرحالة وتقارير القناصل؛ فالحالة الاجتماعية التي يتمتع بها الأسير في بلاده هي اكبر عامل في تحديد نوع المعاملة التي سيحظى بها في الجزائر، فالذين يحملون الاثقال أو يعملون في النشاط الفلاحي أو جذافون في السفن كانوا تقريبا هم الذين كان عملهم في أوروبا

شاقا ولا سيما خلال القرن 16م[11] ، كان "بانانتي" قد ساق الينا في حديثه عن أوضاع الأسرى المأساوية في الجزائر بأنهم محرومون من اللباس والغذاء باستثناء قطعتين من الخبز يوميا [12] ؛ فان لوجي دو تاسي لاحظ بان هناك أسياد يعاملون أسراهم برفق؛ ووجد أسرى في بيوت الأثرياء لخدمتهم يلبسون ثيابا حسنة المظهر ويطعمون طعاما جيدا وينامون مع مالكيهم في غرف نومهم وكانوا محل ثقتهم وكان البعض منهم يعلن إسلامه فيصبح وارثا لتركة مالكه [13] أما شالر فقد أورد قائلا "....انه من الإنصاف القول بان حالة الأسرى المسيحيين بالجزائر لم تكن أسوأ من أسرى الحرب الذين يقعون في أيدي البلدان المسيحية المتحضرة، فالأسيرات كن يعاملن بالاحترام الذي يفرضه جنسهن، والأشغال التي كان يطلب الرجال القيام بها لم تكن مفرطة المشقة...."[14] ،أما "إيمانويل داراندا" فقد قضى أوقاتا جميلة مع سيده " مصطفى كارتابون" حيث كان يجلس معه على الطريقة التركية يبادله أطراف الحديث ويأكل معه الوجبات الفاخرة في طبق واحد.

ويضاف إلى ذلك حياة الأسرى داخل السجون فالبرغم من مساوئها التي ذكرها "كاثكارت" في مذكراته والمتمثلة في نقص شروط الصحة والنظافة وكثرة السرقة وانتشار العنف والشغب بداخلها[15] ، الا انه وبحكم تعدد جنسيات الأسرى فانه اعتبر ناديا للتعارف على حد تعبير" ايمانويل داراند" بقوله: ".... لا توجد جامعة أحسن من سجن الجزائر فهناك نتعلم الطب والجغرافيا واللغات....فالرق ضروري للمسيحيين إذ يعلمهم الانفتاح...."[16] ففي سجون الجزائر كتب "سرفنتيس" أحسن تأليف في الأدب العالمي وهي رواية " دو كيشوت" التي ترجمت إلى عدة لغات، أما "لوجي دو تاسي" الذي كان سجينا في حرب اسبانيا سنة 1706 حيث تلقى معاملة قاسية فقد صرح قائلا:".... أفضل قضاء عشر سنوات كرقيق في سجون الجزائر على أن لا اقضي سنة واحدة في سجون اسبانيا...." [17].

وبالتالي فان دعاية الرهبان العاملين على افتداء الأسرى مبالغ فيها، إذ لايمكن أن نعمم حكمهم القائل بالوضع المزري فهناك معايير تحكمت في نوعية العلاقة بين الأسير ومالكه تتوقف على طبيعة المالك ومزاجه الاجتماعي والمكانة الاجتماعية للأسير في بلده الأصلي وذكاءه مع سيده في الجزائر.

وفي إطار هذه الدعاية المغرضة للرهبان والقساوسة فقد طالوا بكتاباتهم أسباب اعتناق الأسرى المسيحيين للدين الإسلامي رغم حصولهم على حصة الأسد في ممارسة الديانة المسيحية واحتفالهم بأيام نهاية الأسبوع، وفي هذا الصدد يشير "غراماي" الذي أقام بالجزائر لمدة ستة أشهر سنة 1619 إلى بعض الإحصائيات للمسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام بين سنوات 1609- 1619 [18].

الجنسيات	المانيا	انجلترا	فرنسا	هامبورغ	الدانمارك	هولندا	بولونيا	بلجيكا
العدد	867	300	130	138	60	60	250	130

جدول(1): الأسرى المسيحيون المعتنقون للدين الإسلامي بين سنوات 1609- 1619.

وهذا ما أثار مخاوف الدول الأوروبية ،أما الأب "دان"فقد فصل الكثير في هذه الأسباب فالبنسبة إليه؛ عدم تحمل حياة الشقاء في الرق وفقدان الأمل في الحصول على الفداء والحرية ورغبة الأسرى في الانتقام من أسيادهم والإغراء الممارس عليهم كانت أسباب كافية لتحول الأسرى عن ديانتهم الأصلية واعتناقهم الدين الإسلامي؛ كما كان هناك سيدات راقيات من تزوجن بأسراهن من اجل إدخالهم إلى الإسلام [19] ، وكثيرا من النساء الأسيرات قد تخلين عن ديانتهن وتزوجن مالكهن كما فعلت الشابة الايطالية " مارية دي غايتانو" التي تزوجت خير الدين باشا حين ناهز الخمسين من عمره [20].

وبالتالي فان إكراه الأسرى المسيحيين على اعتناق الإسلام من قبل ملاكهم لم يكن قاعدة كما روجت له المصادر الأوروبية وإنما استثناءا ؛ حيث هناك بعض الأسرى تركوا المسيحية واعتنقوا الإسلام قناعة وبرهنوا عن اندماجهم في المجتمع الجزائري ، فعلج علي الذي حكم الجزائر بين سنوات 1568- 1572 وهو من أصل ايطالي عبر عن إسلامه بهذه العبارات: ".... الله هو الذي جعلني تركيا، قطعوني إربا، احرقوني؛ لن أقول غير هذا، أنا تركي وأريد أن أموت تركيا...." [21].

بالإضافة إلى ذلك تحاملت كتابات المفتدين بالطعن في الرموز الثابتة للمجتمع الجزائري كالعادات والتقاليد والدين الإسلامي؛ ووصل بهم الحد إلى غاية التشكيك في ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن في تاريخ مكة والمدينة المنورة.

ثانيا. الجوسسة:

لعبت فئة الأسرى دورا كبيرا في عملية الجوسسة حيث سمح لوجود اعداد كبيرة منهم في مراكز القوة بالجزائر تدوين معلومات وتقارير مفصلة حولها، وكانت اغلبها تشجع على ضرورة غزو الإيالة الجزائرية وذلك في إطار الحرب السرية المعلنة ضد الجزائر منذ زمن بعيد المعتمدة على الدسائس فلا يوجد فرق بين جندي مسيحي وجاسوس ماعدا أن الأول عدو ظاهر والثاني متخفي متستر على حد تعبير الأستاذ مولاي بلحميسي [22].

كما ان الرهبان وقساوسة الفداء ونتيجة تعاملهم مع مختلف فئات الحكام والمحكومين بالجزائر خلال العهد العثماني ؛ سمح لهم ذلك بتقصي الأوضاع والتعرف على نقاط الضعف والقوة داخل الإيالة الجزائرية كما درسوا عادات وتقاليد الجزائريين وفق تقارير أرسلت إلى بلدانهم الاصلية تثير الحقد الصليبي المسيحي ضد مسلمي الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، وبذلك نصبوا أنفسهم منظرين للحملات الأوروبية الحربية ضد الجزائر ويتضح هذا التأثير من خلال النماذج الآتية الذكر:

- في سنة 1603 قتل الأب "الفرانسيسكاني" لأنه هرب خمسة أسرى بالإضافة إلى حمله تقارير مكتوبة موجهة الى ملك اسبانيا [23].

- في سنة 1689 كتب الأب" جيانولا" تقريرا مفصلا أبدى فيه رضاه عن الاستقبال الذي حظي به في الجزائر ووضح طريقة القضاء على الإيالة بهذه العبارات:".... هذا البلد الذي يمثل الجحيم بالنسبة للجميع فهو في منظوري يستحق تعزية ومواساة...." وبالتالي هون مأمورية الغزو الأوروبي للجزائر [24].

في سنة 1619 وصف "غراماي" الجزائر من الداخل والخارج كما صور حياة ومعاناة الأسرى ودرس الوسائل الناجعة لتحطيم الجزائر وجميع إيالات المغرب الإسلامي في إطار عمل سماه" l'africa illustrata "* ؛ حتى أن "جون بوشي" أبدى موافقته لعمل "غراماي" بهذه العبارات:".... انه لايتعارض مع الإيمان ولا مع العادات الحسنة....ولهذا العمل الفضل في تبيين الوسائل الناجعة لاسترجاع المسيحيين من إفريقيا لذا فهو يستحق الطبع...." [25].

ويتضح من خلال الأمثلة المقدمة أن القساوسة كانوا عيون أوروبا في الجزائر لذلك عملت الدول الأوروبية على استثمار تقاريرهم فور قدوم أول فرصة جدية لاحتلال الجزائر ؛ فالفرنسيون بعد معركة نافارين 1827 استخرجوا من خزائن أرشيفهم التقارير والتنبؤات التي كتبها أساقفتهم حول الجزائر خاصة تلك التي كتبها الأسقف " بوسوي" والتي جاء فيها مايلي مخاطبا فيها سكان الجزائر :".... ستسقطين تحت أقدام غالبك.... وتقولين ياجزائر الغنية بغنائمك وسيدة البحار.... والسفن التي تملأ الثقة بنفسك.... ولكنك ستهاجمين في عقر دارك مثل نسر يصطاد في عشه من بين الصخور المستعصية...." [26].

ثالثا. التبشير:

إن حرية المعتقد التي كان يتمتع بها الأسرى المسيحيون في الجزائر وكذلك آباء وقساوسة الفداء بمختلف مذاهبهم الدينية، مكن من إنشاء العديد من الكنائس داخل السجون يقصدها الأسرى كل يوم احد من الأسبوع وفي أيام رأس السنة الميلادية في وقت مبكر بينما يفضل البعض منتصف الليل على وقع الموسيقى؛ فالأب "دان" أحصى ثلاثة كنائس سنة 1643 وهي: كنيسة الثالوث المقدس في سجن الباشا أو ما عرفوا بـ" الماثوريين" وكنيسة القديس "روش" في سجن علي بتشنين وكنيسة القديسة كاثرين[27] ، وفي هذا الصدد صرح الأب " غراماي" قائلا:"....لابد من حضور ديني مسيحي كبير وقوي في بلاد المغرب الإسلامي....ولهذا يجب على الكنيسة إرسال مبشرين وقساوسة أكفاء وحيويين إلى البلاد البربرية تحت رئاسة قديس يشرف على عملهم...." [28].

وإذا كنا لانملك إحصائيات دقيقة حول المسلمين الذين اعتنقوا الديانة المسيحية تحت تأثير البعثات الدينية ؛ إلا إننا نؤكد على وجود التبشير ومحاولات لنشر الديانة المسيحية حيث أكد الأستاذ مولاي بلحميسي بان البعثات الدينية كانت تؤدي دور الحروب الصليبية لكن بوسائل أخرى ليبقى الهدف نفسه مع استعمال أسلوب المخدرات الهادئة [29] ،وبالتالي فاستمالة العنصر الإسلامي نحو الديانة المسيحية كان من خلال المؤسسات الاستشفائية المسيحية والصيدليات التي فتحت داخل السجون حيث يعمل في كل مستشفى حلاق وجراح وممرض، ولم يقتصر التطبيب فيها على المسيحيين فقط بل فتحت أبوابها للأتراك والحضر والمسلمين أيام الوباء والطاعون حتى أن الأب "مونروي" أشاد بهذه الوضعية سنة 1612 قائلا: ".... إن الأتراك والحضر كانوا غالبا ما

يأتون الى هذه المستشفيات.... لقد كان أمرا عجيبا بالنسبة إليهم أن يروا الأسرى المسيحيين لهم مثل هذه المؤسسات في مدينة الجزائر...."[30].

وإدراكا لقيمة الطب والاستشفاء من طرف الأتراك في ظل غياب الرعاية الصحية خلال هذه الفترة حيث تكاد تكون ضربا من الخيال فعدد الأطباء كان ضئيلا وتذهب بعض المصادر إلى أن الجزائر لم تكن تتوفر على طبيب واحد [31] ؛ لذلك نشطت المؤسسات الاستشفائية المسيحية في عملها التبشيري، ففي سنة 1575 أسس الأب" كبيسان" المستشفى الاسباني الذي اعتبر اكبر مستشفى في مدينة الجزائر، وفي النصف الأول من القرن السابع عشر قام الأب" سان فانسان دو بول" بإرسال اثنين من إخوانه وهما« M du coudray» و « M.boucher» إلى مدينة الجزائر في مهمة لافتداء ثمانين أسيرا وتمسيح آخرين على أن يرفق هذان المبشران بجراح يعمل على تأسيس مستشفى صغير من اجل الحصول على حق الإقامة المطولة في الجزائر.

لقد نجح القساوسة في إثارة دول أوروبا ضد المسلمين وأخذت الدول الأوروبية تعتمد عليهم في تبرير غاياتها وتوجيه مقاصدها السياسية، واجتمعت المصلحة المسيحية بالمصلحة السياسية؛ حتى أصبح ى قناصلة فرنسا بالجزائر هم ممثلي المسيحية في ارض المسلمين [32] ؛ وفيما يلي جدول لقائمةاللازاريين المبعوثين إلى الجزائر بين سنوات 1646- 1827 [33].

اسم المبعوث	معلومات متفرقة حوله
Jean baree	**أرسل كقنصل إلى مدينة الجزائر في جويلية سنة** 1646 **وكان قبل ذلك يشتغل في سلك المحاماة.**
Boniface nouvelly	**أرسل كمبعوث كهنوتي وكان طبيبا، قدم خدمات الطب والاستشفاء لصالح الأسرى المسيحيين في الجزائر، توفي بسبب مرض الطاعون سنة** 1647 **وهو نفس المصير الذي تلقاه المرسلان من بعده** jean le sage **سنة** 1648 **و**jean dieppe **سنة** 1649.
Philippe le vacher	**عين مبعوثا كهنوتيا سنة** 1650، **عرف بحماسة خدمته للأسرى المسيحيين في الجزائر.**
Benjamin huguier	**وصل إلى الجزائر سنة** 1662 **لخلافة "فيليب لوفاشي" وتوفي سنة** 1663.
Jean le vacher	**قدم الى الجزائر سنة** 1663 **، اعتمد كقنصل فرنسا في الجزائر سنة** 1673 .
Michel montmasson	**قدم إلى الجزائر بعد توقيع معاهدة السلم بين فرنسا والجزائر سنة** 1685 **، قتل بقذفه من فم مدفعية.**
Joseph glancha	**كلف بمهام الدعاية والتبشير في الجزائر بين سنوات** 1686- 1693.
Yves laurence	**تولى المهام بين سنوات** 1693- 1705.
Lambert duechesne	**امتدت مهامه من** 1705- 1736.
Pierre faroux	**قدم إلى الجزائر سنة** 1736 **، توفي بسبب الطاعون سنة** 1740.
Pastry	**توفي سنة** 1740 **بسبب الطاعون بعدما خلف "بيير فارو".**
Charle marie gabriel	**تولى المهام بين سنوات** 1741 - 1743 **أصيب بمرض وعاد إلى فرنسا للعلاج ثم رجع**

	مرة أخرى للجزائر حتى توفي في نهاية سنة 1745.
Adrien poissant	أدى مهامه من سنة 1843 إلى 1846.
Arnoult bossu	بالإضافة إلى مهامه كمبعوث كهنوتي منذ 1746 فقد شغل منصب قنصل فرنسا بالجزائر لمدة سنة.
Theodore groseille	شغل مهامه من سنة 1757 إلى غاية 1763.
Charles louis lapié	تولى المهام من 1763 إلى غاية 1765.
Claude cosson	دامت مهامه من 1778 إلى 1782 ترك الجزائر مرغما بسبب محاولة اغتيال من طرف الأسرى الفرنسيون الذين لم يتم فداؤهم.
Salvator clariava	جاء إلى الجزائر سنة 1802 وتوفي بها سنة 1811.
Jean François chossat	جاء إلى الجزائر سنة 1823 لكنه سرعان ماعاد إلى فرنسا لأسباب صحية.
jean François Solignac	جاء إلى الجزائر سنة 1825 وغادر ها سنة 1827 بسبب المشاكل الفرنسية الجزائرية التي مهدت للاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830.

جدول (2): قائمة الكهنة اللازاريين المبعوثين إلى الجزائر بين 1664- 1827.

الخاتمة:

ان الملاحظ عند دراسة قضية الأسرى المسيحيون في الجزائر خلال العهد العثماني يرى أن اغلب المصادر الأوروبية قدمت صورة سوداء عن حالتهم النفسية والاجتماعية والاقتصادية، لكن عند التدقيق في الامر سنفاجئ بالخقد الصليبي ضد الجزائر من جهة، ومن جهة ثانية الشراسة التي دافع بها أسرى مسيحيون متحولون للإسلام عن المسيحية حتى ان الكثير منهم ماتوا يدافعون عن الدولة العثمانية.

شهدت حياة الأسرى المسيحيون في الجزائر تطورا ملحوظا مقارنة بوضعية السكان المحليين فالمستشفى الاسباني العام في الجزائر مثلا لم ينقطع عن استقبال أطباء من أوروبا على طول العهد العثماني في الوقت الذي كان فيه التطبيب بالشعوذة ينخر تفكير العامة من السكان الجزائريين.

ان تقارير الأسرى المسيحيون حملت الكثير من اللامصداقية كونها كانت عبارة عن ملاحظات وبهذا كثيرا منها حمل التضخيم في طياتها خدمة للكنيسة الأوروبية والسلطة المركزية من اجل الإسراع في التحرير وكسب تعاطف الجماهير الأوروبية والتفكير جديا في القضاء على قوة الجزائر الدولية.

ان ظاهرة الأسر لم تكن خاصة بالجزائر وانما هي ظاهرة طغت على البحر الأبيض المتوسط خلال الفترة الحديثة، فالأسرى الذين وقعوا في يد البحارة الجزائريون يمكن إدخالهم في إطار اسرى حرب وليس كما كانت تصوه المصادر الاوروبية.

ان الحرية الدينية للاسرى المسيحيون وكذلك جمعيات افتدائهم ساهمت في تقديم خدمات كبيرة لبلدانها الأصلية كالجوسسة والتبشير والدعاية وكانت ضد مرغوبة خاصة عندما تمارس ضد أعداء المسيحية وتدخل في اطار الحرب المقدسة على حسب مزاعم الأوروبيين.

الاحالات و الهوامش :

1 - رحمونة، بليل، العلاقات التجارية لايالة الجزائر مع بعض موانئ البحر المتوسط مرسيليا وليفورن من 1700 إلى 1827 ، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، 2002-2003 ، ص: 146.

2 - إسماعيل، العربي، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة 1776- 1816 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978 ، ص: 31.

3 - وليم، سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر(تعريب وتقديم: عبد القادر زبادية)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص: 132.

4 - Henri,Klein, feuillets d'el-djezair souvenirs de l'ancien et de nouvel alger,5eme volume,imp orientale fontana Freres,alger,1913,p :64

.

5 - Laugier,De Tassy,histoire du royaume d'alger,editions loysel,paris,1992,p :168 .

6 –A.Berbrugger, « captif et patronne a Alger en 1640 » in R.A ,n 08,1864,p :307.

7 - بومدين، دباب، الأسرى والسجون في مدينة الجزائر العثمانية 1519- 1830 ، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة سيدي بلعباس، 2008، ص ص: 77-80.

8 - جون ب، وولف، الجزائر وأوروبا (ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 122.

9 - Fernand,braudel,la méditerranée et le monde méditerranéen a l'époque de Philippe II (les évenement, la Politique et les hommes),3éme edition, armand colin, paris,1976,p :199.

10 - Haedo,fray diego de, « de la captivité a alger»,in R.A ,n° 39,1895,pp :56-58.

11 - Robert,davis, esclaves chrétiens maitres musulmans esclavage blanc en méditerranée, éditions jacqueline Chambon, paris ,2006,p :147.

12 - PANANTI, Relation d'un séjour à Alger, contenant des observation sur l'état actuel de cette régence,les- rapports des états barbaresques avec les puissances chrétiennes, et l'importance pour celles-ci de les subjuguer, Trad. de l'anglais par Blaquiere, Le Normant, imprimeur - libraire, Paris, 1817, p : 490.

13 - Laugier,De Tassy,op.cit,pp :165-166.

14 - وليام، شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816- 1824 (تعريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص: 99- 101.

15 - جيمس ليندر، كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب (ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص ص: 56-60.

16 - Emanuel, de Aranda, relation de la captivité et liberté de sieur Emanuel d'Aranda jadis esclave a Alger, 3eme Edition, bruxelle,1662,pp :201- 202

17 - Laugier, De Tassy,op.cit,p :157.

18 - Abdelhadi, ben mansour, Alger XVI e XVII siecle (journal de jean- baptiste gramaye), éditions du cerf, paris, 1998,pp :105-106.
19 - Pierre, dan, histoire de barbarie et ses corsaires,livre 03,imprimerié pierre rocolet,paris 1637,p :345.

20 - جون ب،وولف، المرجع السابق، ص 288.

21 - Albert, sacerdoti, « l'esclavage chretien en barbarié au XVIII siecle » in R.A ,n°93,1949,pp :135 .
22- Moulay, belhamissi, les captifs algeriens et l'europe chretienne,entereprise national de livre, alger,1988,p : 90.
23 - Salvatore,bono, les corsaires en mediterranée (traduc : ahmed somai),edition la porte,paris,2000,p :99.
24 - Erneste, MERCIER, Histoire DE l 'Afrique septentrionale, Tome 3, E. Leroux éditeur, Paris, 1891, p : 237.
Histoire illustrée de l'afrique .
25 - Abdelhadi,ben mansour,op.cit,pp :250- 251.

26 – مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830**، ج**1**، الطبعة الاولى، دار البعث، قسنطينة،** 1985**، ص ص:** 223- 224.

27 - Pierre, dan,op.cit,pp :430-431.
28 - Abdelhadi,ben mansour,op.cit,p :255.
29 - Moulay, belhamissi,op.cit,p :30.
30- Jean, mesnage, le christianisme en Afrique (église, mozarabe, esclaves chretiens),adolphe jourdan ,paris ,1915 P :202 .

31 - عائشة، غطاس،« الوضع الصحي في الجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة الثقافة، العدد 76**، الجزائر،** 1983**، ص :**127.

32 - عبد الرحمن، بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء 03**،ط** 07**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،**1994**، ص:**163.

33 - GLEIZES C. M (Raymond), CAPTIVITE & Œuvres, De Saint Vincent Paul en Barbarie, Librairie LecoffreParis1933,pp :191-199